إضاءة

إنّ هواء الحياة الثقافية لم يعُد يُسمِّم، بل أنّه الآن أمام حكاية نموذجية لقراءة هذا الهواء، الذي يفسد ويُفسد أكثر، على مستوى جماعي ومؤسَّسي. ففي السنوات الماضية، خبرنا من يبحث عن الشهرة عبر مَنع كتابه وقد يكون تافهاً: الكتابُ أو صاحبه

فيلم السرقة والتطبيع

البحث عن فضيحة

محمد هديب

ما يقع لدى مُعاينة سرقة أدبية، أو اتّهام بالسرقة، والتحايُل والغِش، هو ما يقع تحت رعاية هذه الشمس التي لا جديد تحتها. التاريخ تواريخ إذن، منه حاصلٌ جمع مُؤامرات ومنه حاصل جمع سَرقات.

أمّا تاريخ تسميم الحياة الثقافية، فمن الصعب، وليس المستحيل جمعه. يحتاج إلى رشح جبينٍ، منذ أول قصيدة قيلت في مدح شَخص طبيعي يأكل ويشرب وينام، فجعله الشاعر، مقابل صُرّة مال، إلهاً لا شريك له، مروراً بشخص ذكره التوحيدي في إحدى ليالي «الإمتاع والمؤانسة» منَعه الحاكم من تقبيل رأسه، لأنّ على شعره دُهن (يعني جِلْد) فقال له: «والله لو على رأسك رطلُ خُراء لقبّلته»، وصولاً إلى حفلات تكريم كاتب مصري متّهم بالسرقة والتطبيع مع العدو وبالفيديو.

هواء الحاضر

لذلك سنذهب إلى الهواء الحاضر الذي يلفُّنا. وفي زعمي أنّه على هذه الدَّمامل الجُغرافية العربية «ما يَستحقُّ الحياة»، حتّى ونحنُ نعاين لحظةَ انحطاط ثقافي، غير مَسبوقة من ناحية واحدة فقط، وهي أنّها بثٌّ حيٌّ ومباشر. فحكاية الكاتب الذي اتُّهم بالسرقة في رواية «ماكيت القاهرة»، يُمكن أن تكون واحدة من حكايات، لها ملفٌ شَخصي يُفتَح ويُطوى، دون أن يكون ثمّة وزرٌ على آخرين. فكلّ نفس وازرة تحمل حِملها على عاتقها. مع فَارق الأحجام والمقامات، أليس هذا ما يواجهه المخرج الإيراني الشهير أصغر فرهادي الآن؟

فرهادي وزاده

تعالوا نتفرّج على المشهد الإيراني. فاخونا فرهادي الذي، حرفياً، بحصد الجوائز حصداً، ومنها جائزتا أوسكار، استُدعي للتحقيق قبل أزيد من شهرين، بتهمة سرقة فيلمه الأخير «بطل» من الشابة أزاده مسيح زاده، وكانت طالبة في ورشة أدارها. فيلم الشابة، وهو وثائقي، وموجود على «يوتيوب» يتطابق في صُلبه مع فيلم فرهادي الروائي. وهناك مِطحَنة نقاش حول أحقّية المخرج الشهير في استعمال أفكار ورشته، مقابل من يرونَ أنّ الشابة تعرَّضت للاستباحة والسرقة، والقضاء هو الفيصل. بيد أنّ هذا في حكاية «ماكيت القاهرة» لم يحدث البتّة. فمن قدّموا ما يعتقدون أنّها براهين على السرقة، لم يواجهوا بدفوعات تفنّد، وتقول على لسان الكاتب أو مناصر لكتابه، إن هذه الاتهامات مطعون فيها. لماذا؟ لأنّه أولاً كذا وثانياً كذا وثالثاً كذا.

بلاكين الفيسبوك

ما جرى هو حفلاتٌ من الردح والتنمّر والمكايدة على بلاكين الفيسبوك لكلّ من تجرّأ وانتقد. وحين أظهرت الفيديوهات كاتب الرواية، وهو جالس بتهذيب مُفرط بجانب الإسرائيلي، ويُصفّق له بحبور، لم يُصدر ولو حرفاً واحداً حول سوء الفهم، أو الالتباس، أو عدم القصدية، بل مزيداً من الشتائم وتشويه السمعة، لخَصمها والد الكاتب (وهو مترجم معروف) في منشور يقول فيه إنّ صاحب الفيسبوك يهودي، فلماذا أنتم جالسون هنا؟ وكأن هذا النص الوحيد الذي جاء رداً على التطبيع مع العدو، بينما ملف السرقة اكتفي بالقول إنّه حسد حاسدين.

الحاسدون

ما قضيّتنا إذن، نحن الحاسدين والذين لدينا حسابات في فيسبوك مع أن صاحبه يهودي، والذين نحبّ بيت الشعر: «تَعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا... فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ» مع أنّ صاحبه يهودي. لا، وجهلي أيضاً. ونقرأ كافكا وتشومسكي وفرويد، ونتابع فيلماً لداستن هوفمان حتّى آخره، مع أنّهم كلّهم يهود؟

في شأن الحسد والحسّاد، فإن آخر شخص منّا - نحن الذبيات - يفكّر بوضع خرزة زرقاء للحماية من العين، هو الكاتب العربي الذي يرى اسمه على كتاب هو لا يعرف، أو لدَقّة يخشى أن يعرف أنّه مطبوع منه على ماكينة «ريزو» مائة نسخة فقط، وحين تنفذُ النسَخ يَفرحُ بطبعة ثانية ويصبح المجموع مائتين، متوهّماً أنها الفَان، موشّاة بما يسمى «ردمك»، وهو عنوانه الجديد في مقبرة الأرقام التي يظنّها الكاتب أرقامَ البخت السعيد. يلوكُ الكاتب بفم واسع رقمه مردّداً «ردمك ردمك ردمك» كأنّه فعلٌ رباعي على وزن «فعلَل»، أو بالإنكليزية «ردماك» على وزن سندويشة «بيغ ماك».

مفسدو الحفلات

وفي شأن التطبيع، الذي يتّسع في اتجاهين: الوقاحة والجُبن في ردّ الفِعل، فإنّ مَن يُحاولون صدَّه، ليس لديهم سوى كلمة شرف، ومع ذلك، ما زالوا قادرين على إفساد الحفلات، وإقلاق الراحة والمنامات، وخصوصاً في مصر، وهو شأنٌ أكثر نشاطاً من أيّ بلدٍ عربي. هذه هي مصر الحَيوية الشعبية، حيث يستطيع كاتب أن يجلبَ معه مجاميع من المطيّاتية والهتّيفة، ما يُثير انتقاد عرب آخرين ويرون فيها غريزة مصرية، ولكنّها هي ذاتُها التي تجعل الفضيحة بجلاجل، فيسألونك من بعدُ، لماذا يحب العبادُ مصر؟

ما يُخيف

ما يُخيف في هذه الجولة من تَسميم الحياة الثقافية ليس السرقة، ولا حتّى التطبيع مع العدو، بل في تقديم أمثولة لأيّ شابٍ مُقبل على الكتابة تقول: اسرق ثم طبّع ولا تهتم، لأنك ستصبح مشهوراً أكثر، وستصدُر لك طبعة شعبية من كتابك المتّهم بالسرقة، وستحلُّ ضيفاً على برنامج تلفزيوني تسألك فيه المذيعة أسئلةَ مساج وتدليك للأذن، دون أن يكون من بينها سؤال: بماذا تردّ على الضجّة الجارية الآن؟ وما قصّة هذه الفيديوهات مع الإسرائيلي؟ هل هي صحيحة؟

سأعيدُكم في المقابل إلى عام 2018 حين تفجّرت قضيةُ رواية «بيت حدر» للسوري فادي عزّام، والتي وصلت إلى القائمة الطويلة من «البوكر العربية» في موسم 2017 - 2018. وهي رواية متّهمة بالسطو على يوميات فيسبوكية لطبيب سوري في سجون النّظام.

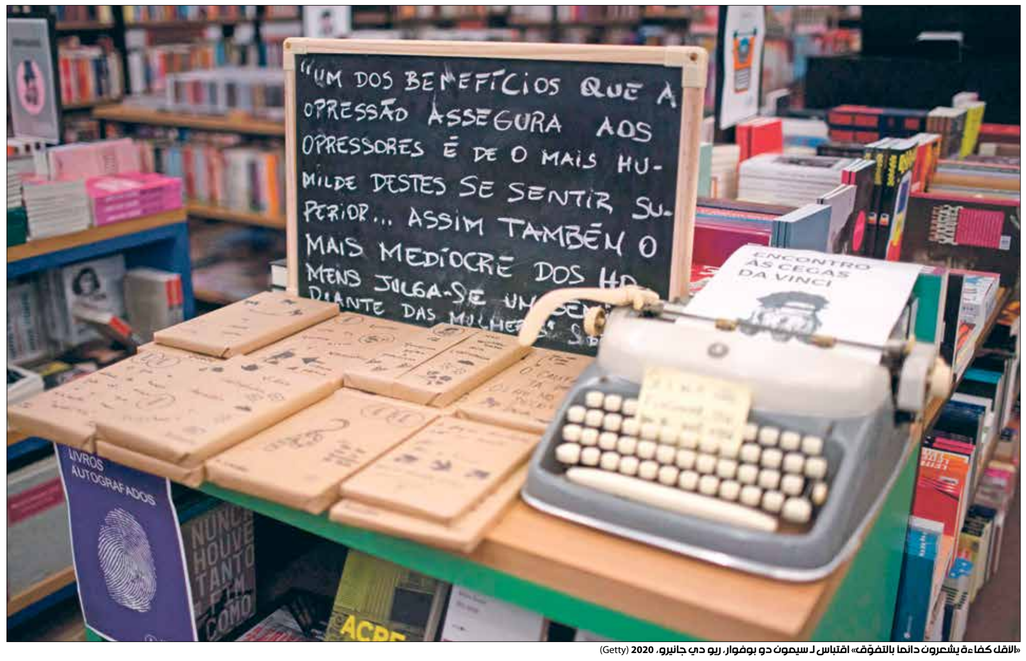

«الأفك كفاءة يشعرون دائماً بالتفوّق» اقتباس لـ سيمون دو بوفوار. ريو دي جانيرو، 2020 (Getty)

> من الصعب وليس المستحيل جمع تاريخ تسميم الحياة الثقافية

> أمثولة للجيل الجديد: اسرق ثم طبّع، لأنك ستصبح نجماً

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

على قدم وساق

التسميم على قدم وساق، من علاقات عامّة وسُلطات ثقافية، و«المترجم المعروف» وابنه المتّهم بالسرقة والتطبيع لا يُجيدان إلّا القول «القافلة تسير والكلاب تنبح». وبالمصطلَح، لا يُعدّ نباح الكلاب أمراً مُشيناً، بل كان على الدوام مشهداً عاطفياً وجمالياً. إنّ الإهانة في اعتبارها قافلة، وقد سمّتها العرب قافلة، أملاً بأن تقفل أي تعود، لكنّها هنا في حالة السرقة والتطبيع ليست سوى راحلة... راحلة باتّجاه واحد نحو الحضيض.

إطلالة

انتماءاتٌ لم تتخلّ عن بدائيّتها

ما زلنا في الغابة

إن كنّا خرجنا من الغابة في بعض المفاهيم، فمن الواضح أيضاً، في مفاهيم أخرى، أنّنا ما زلنا هناك، في الأماكن الأشد تأخّراً

حازم العظمة

تاريخ علاقة «الزعيم» بـ«الرعيّة» يحفر عميقاً في تاريخ الأنواع. وحتى بعد قرون من تفكيك ونقد معنى «الزعيم»، ونقد جدوى هذا الدور لدى شعوب وثقافات قطعت شوطاً في الاستغناء عنه، وحتى مع افتراض أنّنا قد قطعنا هذا الشوط - في الثقافة والعلم على الأقل - يبقى في الواقع أنّ تجاوب الأفراد والجماعات تجاه «الزعيم» ما زال كما كان دائماً: منشأ لنزاعات دموية. فالأتباع لا يستغنون عن «الزعيم» ولا يسمحون باستباحته أو نقده، ناهيك عن تنحيته أو إقالته أو إعدامه أو إحالته إلى التاريخ.

يستمدّ الزعيم نَسَبه الأشدّ بدائية، الأشدّ إيغالاً في علم الأنواع، من مفهوم الذكر المهيمن (alpha male)، الذي يشير إلى الذكر الأقوى في القطيع أو المجموعة، سواء كانت قبيلة بشرية أو سربَ ذئاب أو غوريلات أو غيرها من الأنواع. والآليّات التي تجعل كلّ شخص يحدّد موقفه - حبّاً أو كرهاً - من «الزعيم»، تنتمي في أصولها إلى الآليات التي تحدّد موقف كلّ فرد في جماعة الغوريلا من الذكر المهيمن، وذلك يعتمد أساساً على قراءة الوجوه والحركات والسلوك.

صحيحٌ أنّ هذه الآليات صادفت عند الإنسان والتقت بمواقف تحليلية واعية، من برامج اقتصادية وسياسية وفكرية، ونمط ثقافي، لكنّ قسماً منها (ذلك القسم الذي يصعب تفسيره) ما زال يعود إلى آليات استقراء جماعة الغوريلا لـ«الزعيم»: قراءة الوجوه والحركة والسلوك. وهو ما يُسمّى في لغتنا المعاصرة: كاريزما الشخصية، أو غيابها.

هناك أيضاً المنعكسات غير الواعية: الآليات العميقة في تاريخ النوع، التي تسمح بقراءة الشخصيّات بمجرّد التأمّل فيها والنظر والإنصات إليها، وهو ما أسماه قدماء العرب: الفِراسة. يتّصف الذكر المهيمن بأنه الأقوى، الأشدّ إرهاباً، والذي له أن ينال من الآخرين، أن يُعاقب أو يكافئ الجميع. وبالنسبة إلى البشر، تضاف إلى ذلك صفاتٌ مثل: العادل، المهيمن، المخلّص، المنقِذ، المُلهم... مفاهيمُ قد لا تكون موجودة فعلاً لدى الذئاب وغيرها من الأنواع، بحسب مفهومها المحتمل للعادل، والمخلّص، والمنقذ...

لا يزال الهتاف للزعيم، والإخلاص له، وحتى الذهاب إلى الموت من أجله، يطبع عميقاً سلوكَ الجماعات البشرية، حيث يختلط الأمر مع مفاهيم كالعدل والحقّ والقومية، وهي مفاهيم تُنتج وتعيد إنتاج مقولات من قبيل: القومية الأعلى، المختارة، أو الدين والطائفة الناجية، تلك التي هي دائماً على «حقّ». ثمّة دائماً في الخلفية هذا المفهوم عن «القومية المختارة»، التي هي «أجمل القوميات»، أو عن الدين الذي هو «أرقى الأديان»، وغالباً ما تُستخدم في تأكيد ذلك مفاهيم مثل «الموضوعية» و«الحياد العِلمي». دائماً ما تكون «قوميّتي» أجمل القوميات وأعلاها وأنقاها، وكذلك حال «طائفتي»... ذلك فقط لأنها قوميّتنا وجماعتنا، وثمّة زعيمٌ على رأسها.

> دائماً ما تكون «قوميّتي» أجمل القوميات وأعلاها

إن كُنّا خرجنا من الغابة في بعض المفاهيم، فمن الواضح أيضاً، في مفاهيم أخرى، أننا ما زلنا هناك، في الأماكن الأشد تأخّراً...

(شاعر سوري مقيم في باريس)

عمل للفنان السوري محمّد عبّاس، 2012

هموم شعرية

القرّاء هم الشعراء أنفسهم

مفيد عزيز البلداوي

تقف هذه الزاوية مع شاعر عربي في علاقته مع قارئه وخصوصيات صنعته وواقع نشر الشعر العربي المعاصر ومقروئيته

ديسبورغ (ألمانيا) ـ العربي الجديد

مفيد عزيز البلداوي

■ من هو قارئك؟ وهل تعتبر نفسك شاعرًا مقروءًا؟

قرّاء الشِّعر أيامنا هذه هم الشُّعراء أنفسهم ومحيطهم من الأصدقاء، يتبادلون قصائدهم على شكل همٍّ مكتوب... أنا جزء من هذه المنظومة، لذلك لا أستطيع تحديدًا أن أقول: الشِّعرُ مقروء اليوم.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، هل لديك ناشر وهل هو الناشر الذي تحلم به لشعرك؟

سيِّئة للأسف... العلاقة بين الشّاعر والنّاشر زواج غير تقليديّ، يبدأ بحبٍّ كبير بين الطرفين وينتهي بمحاكم الطّلاق والتّشنيع إلّا لماماً، يبدو الأمر توثيقيًا أكثر منه إضافة للمكتبة الشّعرية، أعني نشر الشّاعر كتابه يعدّ حفظًا له من ضياعٍ متسلسلٍ بين الأوراق الخاصّة.

■ كيف تنظر إلى النشر في المجلات والجرائد والمواقع؟

قديمًا كانت المجلّات والجَرائد تصنع فرحًا غامرًا للشّاعر عندما يرى نصوصه منشورةً فيها، الآن العهدة بيد المواقع، خاصّة مواقع التّواصل، بما تتيح من فرصة نشر وتعامل مع النّص من قبل صاحبه ومَن يقرأ من أصدقائه وربّما آخرين لا يعلمهم لكن قد يشعر بهم.

■ هل تنشر شعرك على وسائل التواصل الاجتماعي، وكيف ترى تأثير ذلك في كتابتك أو كتابة زملائك ممن ينشرون شعرهم على وسائل التواصل؟

نعم.. وبكثرة، ربما أستطيع أن أقول إنّني منذ أكثر من عشر سنوات لم أرسل نصًّا لصحيفة ما أو مجلّة مكتفيًا بالنّشر اليوميّ في صفحتي على فيسبوك، وأقرأ في الوقت ذاته كمًّا كبيرًا من الشّعر أيضًا، لذا فيمكن وصف التّفاعل مع هذا النّشر بأنّه كيميائيّ ونتائجه غالبًا تأتي بالجديد.

■ من هو قارئ الشعر العربي اليوم في رأيك؟ لا أحد... إطلاقًا غير الشّعراء أنفسهم.

■ هل توافق على أن الشعر المترجم من اللغات الأخرى هو اليوم أكثر مقروئية من الشعر العربي، ولماذا؟

لا أبدًا... في اعتقادي أنّ هذا تصوُّر خاطئ لسببين: الأوّل انحسار القراءة للشّعر عن الشّعراء أنفسهم، والثاني الفرق الكبير بين الشّعر المكتوب بالعربيّة كمًّا مع الشّعر المترجم.

> استغرب انقسام الشعراء وعدائيّتهم لأجناس شعرية لا يكتبونها

بطاقة

شاعر عراقي من مواليد بلد 1971، حاصل على بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من «جامعة بغداد»، مقيم في ألمانيا منذ 2002. نشر ستّ مجموعات شعريّة: «وطن» (2011)، «لا توت يكفي لستر البلاد» (2013)، «معاول الذاكرة» (2013)، «عندما أغمض عينيه رآها» (2013)، «أخطاء السعادة» (2013)، «لجار السراب الحكاية» (2021).

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

حتّى 30 من حزيران/يونيو الجاري، يستمر معرض **حوّاء وما حولها** في غاليري **سماح آرت** بالقاهرة، للتشكيلية المصرية **فاطيما الشيتي**. افتُتح المعرض في 18 من الشهر الجاري، وفيه تتابع الفنّانة استلهامها القوي لحضور المرأة بدلالات رمزية متنوّعة، وهو ما تميّزت به منذ بداية مسيرتها قبل 30 عاماً.

بعد غياب لمدّة عامين، تعود **مهرجانات بيت الدين الدولية** بلبنان، للانتظام. وتتوزّع الحفلات الموسيقية الثلاث على مدى أيام 13 و15 و17 من تموز/يوليو المُقبل عند الثامنة والنصف مساء. الفرَق المشاركة: Les Cordes Résonnantes بطابعها الكلاسيكي، والمطربة **داليا جبور** وفرقتها الموسيقية للطرب الشرقي، بالإضافة إلى الموسيقي **غي مانوكيان** مع الأوركسترا.

مهرجان الأصيل للموسيقى المغاربية عنوان الحفل الختامي الذي تُحييه **الفرقة الموسيقية لأكاديمية صفاقس للمالوف** عند السابعة مساء الجمعة المُقبل بـ **المركّب الثقافي محمد الجموسي** في تونس العاصمة. الحفل يُقام بمناسبة نهاية السنة الدراسية 2021 - 2022 ويقدّمه تلاميذ الأكاديمية اليافعون.

هبة فن عنوان الدورة السادسة من مهرجان مسرح عشتار الدولي الذي تحتضنه فضاءات ثقافية عدّة في رام الله منها: **«مسرح عشتار»** و**«المسرح البلدي»** و**«مركز خليل السكاكيني»** و**«مسرح القصبة»** من 3 إلى 10 تمّوز/يوليو. يتخلّل المهرجان ورشات يومية وموّ تمر حول «حرية التعبير ودور المسرح».